أصنام الكعبة وأصنام المغرب

ملحق « المغرب » للثقافة

يحيى المسلمون اليوم ذكرى مولد رسولهم الأعظم صلى الله عليه وسلم فيظهرون الابتهاج، ويقيمون الاحتفال، ويعلنون العيد، ويتهيؤون لذلك بزينة جديدة ومظهر جديد، فإذا المسلمون في أنحاء المعمور قد أخذتهم نشوة من السرور وموجة من الانشراح فأزاحوا عن أنفسهم هموم الحياة واستقبلوا الذكرى بتحية تعبر عن إحساسهم الصادق نحو منقذهم الأعظم.

يستقبل المغاربة هذه الذكرى بتحية طيبة ولكنهم لا يفكرون فيها ولا يقدرون قيمتها في تاريخ الإنسانية، فحسبهم أن يقيموا حفلات العيد كعادة ألفوها وتقليد مارسوه، فإن هذه الذكرى لا توحي إليهم معاني الجلال ولا تحيطهم بسياج من الفضيلة هما مرمى الإسلام الحقيقي، فإن المغاربة اليوم في غفلة عن وحي دينهم بينما العبرة في هذا العيد ليست هى المظاهر ولكنها في أن تستوحى من الذكرى سيرة رسول أضاء لنا سبيل الحياة واختط لنا خططا نهجناها فسبقنا غيرنا وأهملناها فتأخرنا عن غيرنا.

والمغاربة وإن كانوا يخصصون أياما من هذا الشهر يقصدون فيها بيوت الله للاستماع إلى السيرة النبوية تدرس عليهم فإن ذلك أيضا أصبح عادة لا أقل ولا أكثر ، فإن المغربي وهو يستمع إلى حياة نبيه الأعظم وجلائل أعماله الخالدة بخشوع يفكر في مصيبة تسجل في صحيفة ذنوبه عند خروجه إلى الشارع.

ولعل من أروع وأخلد ما تمليه علينا سيرة رسولنا الأعظم فلا ننتبه إليه ولا نعتبر بعبرته تلك الصورة التي قصد بها نبى الإسلام وهو في أول مرحلة من نبوته أصنام الكعبة

فحطمها وأزالها من الوجود المادي لتمحى من الوجود الفكري، فإن تلك الصورة الخالدة ستبقى دائما في تاريخ الإسلام مبعثا لتجديد قوة المسلمين وسراجا لهم في ظلمات الحياة.

حطم الرسول الأعظم أصنام الكعبة ليعلن فكرته الأساسية التي هى التوحيد فوضع بذلك حجرة أولى في بناء صرح الإسلام الذي شيده على دعائم العلم والأخلاق والألفة.

فأنقذ البشر من جاهليتهم الاشراكية وأوضح لهم بأفصح لسان أن عبادة الأصنام لا تستطيع دفاعا عن نفسها ولا تنفع أحدا؛ جهل مطبق وغباوة يجب أن يسل سيف القضاء عليها. وأخرج الفكر الإنساني بذلك من عالم الظلام إلى عالم النور، فانطلق يبحث عن أسرار الحياة ويكشف من نواميسها آيات تدل على أن الله واحد وأن القوة الأزلية أعلى من أن ترمز لها أصنام دارت على الكعبة.

ثم خطا النبى الأعظم خطوة جديدة فسن دستورا يطهر الإحساس ويزكي الفضيلة في النفس ويرسم نظاما للمعاملات ويحدد العلاقات.

ثم أوضح لهم أن المسلمين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وأن الوحدة يجب أن تشمل جميع شؤونهم بإخراجهم من عزلتهم الفردية إلى حياة اجتماعية فسن لهم لذلك من الأنظمة ما بقى رمزا لوحدتهم العملية، ففضل الصلاة مع الجماعة ليتعارف أهل الحي وواجب صلاة الجمعة ليتعارف أهل المدينة وخصص حج بيت الله الحرام ليكون مؤتمرا إسلاميا عاما.

فكان ذلك العلم وتلك الأخلاق وهذه الألفة سر اكتساح الإسلام في أمد وجيز أنحاء المعمور واستيلائه على أعظم دول عصره بصورة لم تعرف في تاريخ الإنسانية جمعاء.

كان فاتحة ذلك العهد تحطيم أصنام الكعبة. والمغرب اليوم في شبه عصر جاهلي وإن كان يدين في الظاهر بدين الإسلام؛ فإن حول عقل كل مغربي أصناما يجب أن تحطم إذا أردنا تجديد قوتنا واستنهاض جمعيتنا الإسلامية.

لقد كانت أصنام الكعبة هى التي تحول بين العرب وبين فهم فكرة الرسول الأعظم

فحطمها أولا. والمغاربة اليوم لا يحول بينهم وبين الإسلام إلا أصنام معنوية ثلاث: جهل مطبق وأخلاق سيئة وأنانية قتالة، فلا مناص لنا من تحطيمها ولا مفر لنا من محاربتها محاربة فعالة إذا أردنا خير الدنيا والآخرة.

إنها أصنام تقف في وجهنا تسد علينا نور الإسلام فنظل في جاهليتنا نعمه، وفي شرورنا نتخبط وفي عزلتنا نموت.

فبالعلم ندرك حقيقة الإسلام ونحارب هذه العادات الفاسدة التي تأصلت من نفوسنا فأصبحنا لها خاضعين.

وبالتربية نخطو خطوة صحيحة نحو أحكام الإسلام التي باعدت بيننا وبينها تقاليد سمجة ردتنا إلى الظلام.

وبالألفة يقوى ساعدنا وندرك أن حياة الفرد تخضع دائما لحياة المجموع وأن ضعف المجموع سببه الوحيد تخاذل الأفراد.

تلك أصنام الكعبة حطمها الرسول الأعظم وهذه أصنام المغرب يجب أن يحطمها المسلمون في هذه البلاد إذا كانوا حقا يؤمنون برسالة نبيهم المختار فليستمدوا من ذكراه العبرة وليتجهوا صوب تلك الأصنام فيحطموها، وإذ ذاك لا غير يفسح لهم المجال ليعرفوا الإسلام من جديد ويستحقوا أن يحتفلوا بهذه الذكرى الخالدة.